

البحث عن مريضة مقالة

تنتحر السنين عند عتبة السنين ،
وما أزال فوق دفة السفينه
مسافرا يصنفه اللهاث
يبحث في القيعان ، في
الجزائر المهاجرة ،
يسأل كل موجة مسافره
نحو شواطئ الابيض ،
والاحمر ، والخليج ،
نحو كهوف الشر ، زنانات
سجنه ، أبنيه .

ابحث في عيون الانجم الشوهاء عن مدينه
حلمت فيها منذ لحظة الولاده
ما عقلت بجيدها قلاده .

حلمت فيها حرة اللسان ، واليدين ،
تخلق «جيفارا» وتنجب «الحسين»
جبهتها بيضاء كالجليد
مدينة شجاعة مقاتله

اسواقها تكتظ بالأزهار ، والخبز ، وبالرصاص
حقولها مكسوة بالقمح ، والاجاص
ترفض اشكال الطقوس ، والعباده
لا تنحني لصاحب الجلاله ،
لا تنحني لصاحب السيادة ،
تبارك السواعد المناضله
دروبها الرعب الذي يدمر الفزاة
ضفافها الربيع ، والأطفال ، والحياة

وتسقط الايام ، والايام ، والسنين
وما أزال اركب السفينه

ابحث عن «هانوي» في «جزيرة العرب»
ابحث عنها في «بلاد الشام» و «العراق»
و «الكنانه»

«هانوي» في عين طفلي الحبيب
«هانوي» في ارحام موطني السليب
«هانوي» في اغداق نخلة «الفرات»
«هانوي» في الاغوار ، والقوطة ، في
استفائة «القناة»
ميلادها حياة

ميلادها المرفأ ، والاعصار ، والهبات
ميلادها المكتسة التي تنظف الدروب
وتحمل الاوساخ من شوارع القمر
«هانوي» يا سفينتي نهاية السفر
نهاية المطاف

عيسى حسن الياسري

العراق

الانسانية ، ولن يفيد انفن نفسه في النهاية ، بل سيقوده الى
الانهياب ، كما فساد فعلا مدارسها التي اسرفت في اطلاق الفن من
الاعتبار الاخلاقي .

ليس هذا فحسب ، بل الفن اكبر خضوعا للاعتبار الاخلاقي
العام (مكررا كلمة « العام ») هذه ، ونافيا ان يكون معناها تقاليد
اخلاقية معينة في مجتمع معين وعصر معين) ، من كثير من النشاطات
الانسانية الاخرى ، وذلك لعظم اهميته ، وفرط تأثيره في قارئيه وناظره
وسامعيه .

لست انكر ان هناك « قيمة فنية » ، ومعظم عملي محاولسة
لاستجلائها لنفسي ونجليتها لطلبتي وفسرائي ، فيما ادرس من
انتاجات الشعر العربي ، قديمه وحديثه . لكن الذي انكره الآن ، والذي
صرت الى انكاره منذ سنوات ، هو ان تكون هذه القيم الفنية
« جمالية » خالصة . فقد اتضح لي ان القول بوجود مثل جمالية
« استنابيقية » خالصة هو محض خرافة .

اما حقيقة الامر في القيم الفنية ، فهي انها خلاصة اعتبارات
كثيرة متشابكة متعقدة ، منها بلا شك الاعتبار الذوقي ، لكن منها
اعتبار الصدق في التجربة والانفعالات ، والاعتبار الفكري ، والاعتبار
الوطني ، والاعتبار السياسي ، والاعتبار الاجتماعي ، والاعتبار المادي ،
والاعتبار الروحي ، والاعتبار الاخلاقي .

واكثر الاخطاء التي تحدث في الاحكام النقدية تنجم عن تحكيم اعتبار
واحد من هذه الاعتبارات المتعددة المتشابكة ، واهمال الاعتبارات الاخرى .
والخطا الذي وقعت فيه آنفا هو محاولة تحكيم الاعتبار الذوقي وحده .
ولو اني كنت ادرك تعدد الاعتبارات التي يمسها العمل الفني ويشربها ،
واستحالة فصل بعضها عن بعض ، ما تكلفت ما تكلفت من الجهد في
اثبات ان نفوري من رائسة بشار نفور فني محض ، وليس نفسورا
اخلاقيا . بل لادركت ان النفور الاخلاقي هو اعتبار مشروع يجوز لنا ،
ويجب علينا ، ان ندخله في تقديرتنا النهائي للفن - اذا اخذنا حذرنا
في فهم هذا الاعتبار ، فلم نخضع فيه لتقاليد معينة مبالغة التزمت .
فاذا عدت الى الرائية في ضوء موقف الراهن ، وجدت انني ما
زلت ارفض ادخالها في دائرة الفن المشروعة ، لكني اسلم بان رفضي
لها يقوم في جاب عظيم منه على ادانتي الاخلاقية لها ، ولا ارى حرجا
في التصريح بهذا الاعتراف .

لكن هذا الرفض مني لا يصدر عني بطمانيئة كاملة وثقة تامة ، اذ
اعود فأتأمل في صدق تجربتها وصدق انفعالاتها ، وفي قوتها
التعبيرية الكبيرة ونجاحها التصويري الفائق ، واسمع كلام اصدقائي
وزملائي الذين يقولون ان هذا الجانب فيها يرجح على جانب
كراهتها الاخلاقية ، ويستشهدون علي بما قلت بنفسي من انها تهدم
غرضها في اغراء الفتيان وتعليمهم طرق الايقاع بالفتيات ، بما تقدم
للفتيات من تبصير بحيل الرجال حتى يامن الوقوع في حبالهم .

لذلك انرك الحكم لقرائي ، آملا ان اسمع آراءهم في هذه المسألة .
ولست اعني المسألة العامة مسألة الفن والاخلاق ، فالكلام العام فيها
قليل الفائدة ، انما اعني حكمهم المحدد على الرائية نفسها ، هل
يقبلونها في دائرة الفن او ينفونها عنها . ولسن تعينني آراء
المنظرين في أحد النقيضين ، من يأخون الفن بالالزام الاخلاقي
المتزمت ، ومن يطلقون الفن من كل اعتبار اخلاقي .

فكلا هؤلاء وهؤلاء سيكون لهم رأي جاهز مسبق ، بالرفض او
بالقبول . انما تهمني آراء من يشاركونني موقفني ، فيؤمنون بتعدد
الاعتبارات التي تدخل في الحكم الفني ، واستحالة الفصل بينها ، وخطا
هذه المحاولة ، ويسلمون بان الاعتبار الاخلاقي يجوز ادخاله في الحكم
الفني ، لكنهم يحذرون التزمت فيه والاسراف في تطبيقه ، ويبدلون
جهدهم في ان يسمحوا للفنان باقصى حرية ممكنة . فما رأي هؤلاء
في رائية بشار ؟

محمد النويهي

القاهرة